

في كرنفال بمناسبة العيد الثمانين

الشيوعيون يعيدون للشعر الشعبي عافية مهرجاناته



حامد كعيد الجبوري

لا أعرف، وقد أعرف السر الذي يحمله الحزب الشيوعي ليتعلق به العراقيون الوطنيون بهذا الشكل الجدير بالدراسة والتحليل الموضوعي، كيف لا وهو من التصق بالناس وعاش معاناتهم وانطلق من رحمهم، ونطق بالأمهم وآمالهم.

في آذار عام 1974، احتفل الشيوعيون بعيدهم الأربعين، وصدر كراس ضم بين دفتيه (32) قصيدة لرموز شعرية شعبية عراقية تركوا بصمة واضحة على نمط كتابة القصيدة الحديثة، وهؤلاء الشعراء المساهمون في العيد الأربعين للحزب الشيوعي منهم من قضى نحبه، ومنهم من هاجر من بطش النظام السابق ثم عاد لبلده بعد سقوط صنم الدكتاتورية، ومنهم من بقي داخل العراق صامتا، لذلك كان من دواعي السرور أن يساهم من بقي من هؤلاء الشعراء الكبار بهذا المهرجان الوطني الكبير.

الساعة الرابعة والنصف عصر يوم الأربعاء 30 تشرين الاول 2013، كانت قاعة المركز الثقافي النفطي في برك السعدون ببغداد على موعد مع المهرجان وقد امتلأت برواد الشعر الشعبي ومحبيه وفي مقدمة الحضور كان سكرتير اللجنة المركزية للحزب حميد مجيد موسى وقياديو الحزب مع حشد متنوع.

بعد النشيد الوطني والوقوف حدادا على أرواح شهداء الحزب والحركة الوطنية والوطن والشعب اعتلى المنصة عريف الحفل الشاعر (عبد السادة البصري) الذي أضفى بمختراته الشعرية الكثير من الحلاوة



والطلاوة على الكرنفال، وهو شاعر فصيح لكنه وفي يوم الكرنفال البهيج كتب نصا شعبيا
جميلا استهل به الحفل:
(كل سنة من سنين عمرك
ورد جوري وياسمين
كل سنة من سنين عمرك
يكبر ويانه الحنين
كل سنة من سنين عمرك
نكتب بدرب العشك
فرحة وأغاني
للوطن للناس
ننثر واهليه
كل سنة من سنين عمرك
نجدد الحب لطريقك
يا طريق الشعب أنت ويا هويه
يا سلام .. ويا محنه
وطيبة معجونة ويه دمنه

إكبر إكبر

وبعد إكبر ، وبعد إكبر ، وبعد إكبر ، وبعد إكبر

وننتظر عيدك الميه)

ثم قرأ القيادي في الحزب الشيوعي (مفيد الجزائري) كلمة الحزب فقال (شهران ويطل عام الذكرى السنوية الثمانين لتأسيس الحزب الشيوعي العراقي، ذكرى انطلاق مسيرة أعرق الأحزاب السياسية، وقوى الكفاح الوطني والتقدمي العراقي، وأطولها عمرا، وأحد أكثرها وفاء للشعب وعطاء للوطن، وتضحية في سبيل حريتهما وسيادتهما وكرامتهما وتطورهما وازدهارهما، ودفاعا عن حقوقهما).

وعن رؤية الحزب للشعر الشعبي تقول كلمة الحزب فعبرت عن فرحة الشعراء الشعبين بهذه الرؤية الوطنية الشيوعية للشعر الشعبي (ويهمنا جدا هنا أن نعود الى العلاقة الحميمة التي نشأت وتعززت بمرور السنين بين حزبنا الشيوعي والشعر الشعبي ومبدعيه. فقد كان الحزب على الدوام حاضنة حقيقية لهذا الشعر ولشعرائه، وداعما ثابتا له ولهم ولنموهم وتطور إبداعهم، حتى تحول هذا الشعر، على يد عدد من كبار مبدعيه الشيوعيين، الى ظاهرة إبداعية متميزة عراقيا، بل وعربيا. ويحق لنا اليوم ان نفخر بالكوكبة المخضرمة من هؤلاء الشعراء، الذين زرعوا بذور رقي الشعر الشعبي العراقي، وأسسوا لمدرسته الحية المتجددة، التي ظل يؤمها وينهل من إرثها الغني العشرات والعشرات من منتسبي أجيال الشعراء الجديدة. كما لا ننسى ان هؤلاء المبدعين الكبار احتضنوا الحزب الشيوعي بدورهم، ووهبوه وقضيته النبيلة ونضاله ومناضليه، أجمل وأروع ما أبدعوا وكتبوا).

وأعقب الكلمة عزف بهيج على آلة العود لأغنياتي (هرجي وياشكنه) للفنان (علي حافظ)، وبعده جاء دور الإبداع الصادق، الشعر الشعبي، فاعتلى المنصة الشاعر "نوفل الصافي" بقصيدته (الرسالة العملية لعراق الحب) التي لقيت استحسانا مميذا من الجميع:

(الكره يبطل وضوء

والتبات بحضنه غيبه يغتسل بأقرب نهر

للسوك دافي - على الأحوط - مرت بجرفه حبيبه

ولو سمعها - وإن سهوا -

يشطف اذنه نص نهار ابنده تغريد البابل

اليمس خد الورد

كفارته يزرع حديقه

واليصافح جف جراهه .. امنين ماجان

انتماه وانتماوات الجراهه فهو باطل ..

ديه يدفع للسنايل - حرك كونه مناجل -

البيوت الخالية من طير للحب ما تصح بيها صلاة

اليطوف الناس بإجرام المحبه

حجته مقبولة ولا يحتاج للكعبه وصول

اليصلي وقبلته رموش الفقير

وما اجه اباله اشحجه اشكال الأمير

شلون ما رايد يكبر خل يكبر

اني أضمنله ابتسامه من الرسول

الدعاء بلا شعر للناس للحب

للأمل ... ما مستجاب)

ومن الموصل الحدياء شارك الشاعر "فدعم الحيايالي"، وبدأ مشواره على المنصة ببيت من الأبودية:

(سيوف الدهر بالدلال سني

ولا مرة بشماته ضحك سني
شيعي أنه وأخويه الحيد سني
عراقيين بالدم والهوية)
أعقبها بقصيدة جميلة يقول فيها:
(من شفت الضماير عالكراسي تموت
كراسي البيت كلهن موتتهن
شيعت الكراسي ورحت جناز
بكبور العجر غادي أدفنتهن
رديت وضميري بطوله يمشي وياي
وحصران الكرامة انه فرشتهن)

ومن الناصرية شارك الشاعر "فاضل السعيدي" الذي ساهم بالعيد الأربعين بقصيدة ثبتت له في
كراس (أغاني للوطن والناس) وجاءنا بقصيدة جديدة وهي "رغبات عراقية" وفيها مقدمتان
يقول بإحداها:

(الحواسم مو فقط من باكوا
الحواسم بالسياسة هوايه
صاروا أبطال لمجرد لافقات
بيها كتبوا احنه جنه الرايه
وهمه ما جانوا ولا جانوا ولا
تتذكر أسماؤهم بحجايه
بالعكس جانوا من أبناء النظام
وهمه جانوا صوت بوقه ونايه)
وانتقل الى قصيدة (رغبات)، ومنها:

(عندي رغبه
أن أسولف عن صديقي
وعن رفيقي
وعن وكاحات الطفولة
وعن أبوي وأمي وأحلامي زمان
وعندي رغبه
أن أزور البرلمان
وأن أكلهم، قدموا شي للشعب
أو عوفوا المكان
وعندي رغبه
أن أحطم البندقية
وأن أسويها كمان)

ومن (الرميثة) بالسماوة اعتملى المنصة الشاعر "زهير هادي الرميثي" وهو يحمل بين طيات
أبياته (بوسات) شيوعيات للحزب ورفاقه:

(جبت من الرميثة الكم
شعر ما تنظفي شموسه
وجبت وياي كلكامش
وساوه وتفكه مطموسه
وجبت شعلان للقاعه
يهوس للحزب هوسه
اجيت اكل وفه البيه..

أريد أطبع على اخدود الحزب

.....وأهل الحزب بوسه)

واستذكر الرميثي رفيق زنزانته، في مديرية أمن السماوة، "علي" صباغ الأحذية الذي رُحِّل
لأمن بغداد عام 1979 وفتقد منذ ذلك التاريخ:

(بالسجن مره جنت.. دكوا عليه دغار

من جلدي شلوعوا جلد.. وجوا ابصدي النار

جلادي مثل الشمر.. يطلبني يمكن ثار

علكني عالمروحه.. وبجفي دك بسمار

كال اعترف شأعترف.. ما عندي كل أسرار

شيوعي وأظل للأبد.. غير الحزب شأختار

كام المحقق كفر.. كال انتة ما تنهار

كتله أنه نشوة نخل.. وبروحي أضم جمار

وتعلمت من فهد.. ومحمد وستار

تحت السياط أحتفل.. ودمي شمع لأذار)

ومن النجف الأشرف ساهم الشاعر "ستار الدليمي" بمستهل:

(لاتهديلي سيف اذبح اخوي تريد

وتظل تضحك علي وأتعذب ابضيبي

واحد والعجل متشابكه ويه الجا

عراق اني وصعب هيهات تقسيبي

المذاهب وحده.. ابد كل فرق ما موجود

سيد موسوي لو سيد نعيمي

فتلاوي علي.. بس ساكن الانبار

وصار ابن النجف ستار الدليمي)

ثم قرأ قصيدته:

(اتصفح وجهي زين وكلب الاوراق

واقراني بتأني بخلك وافي

طالع وجهي.. اخذ منه اعترافات

البكلي اعله وجهي وموش خافي

مايحتاج سوط وظلم جلاد

ضوكني ملح واخذ اعترافي

انه شاييل بعض من طيب الانبار

وعلم المشهد وملحي شنافي

نهر مايي الوفه ماشح عله الناس

وحب الناس مزروع بصفافي

احب الناس كلها وسمح والله

يجافيني الرفيج وماجافي)

ومن النعمانية (واسط) حضر الشاعر "محمد النعماني" وقرأ:

(صلب ناعور صندل من يلاكي الريح ما يفط

زلم والحك جتيل بذمته امكمت

اذا يغفه وينام الليل

ما يغفاش ذيب أمعط

طبعنه احنه مراد الله

وطبع يونس يطلعونه ابحك حوته
اذا ينحط

طبعنه احنه طبع برحي
وايد هيهات جذع النخل ما ينمط
يعربيد الحماد اهنا يالمركط
تره سنونك كلت نابك
بعد شيفيد لمض لسانك اليلعظ
تكثر ذوله احنه جبال
يتباهه الصكر فوكاهه لو جل حط
زلم فهد وسلام وكامل وسعدون
واحدهم شهم حرّ عالفخر ينحط)

ومن بابل شارك الشاعر "طه التميمي" متغنيا بحب العراق والحزب الشيوعي ومخاطبا
العراقيين الذين سيذهبون لصناديق الاقتراع:

(احضر إنتخب شوف اليمتلك زين
مرة إصبع تصبغه موش يومية
تصاوير الوعود الترسست الحيطان
وشبعنه جذب واطعمنه صينية
احسبها عدل واثبتها للتاريخ
واقضح للفساد وكل بلاويه
سونار الضماير كشف وجه الزيف
يعرض صور شعبي اكل فضائيه
حط نفسك ابمجهر واكتشف ما بيك
وين.. ابيا شريعه تصيد سليه
ومنون امن أغني لشمعة الميلاد
ومبروك الحزبنه ومي سواجيه
يوم الواحد اتلائين من آذار
مسروجه الشمس بس للشيوعيه)

وجاء دور شاعر آخر ساهم بعيد الحزب الأربعين عام 1974 وحجز مقعدا بالكراس الذي
أصبح منشورا تداوله أيادي الشيوعيين والوطنيين (أغاني للوطن والناس)، هاجر هربا من
بطش الطاغية المقبور وعاد لوطنه حاملا حبه الكبير لعراقه وشعبه وحزبه، إنه الشاعر
"اسماعيل محمد اسماعيل":

(إجت سورة ضمير بريح
وزياك الشمس هدله
اعله بتها تصيح
مفظوم الضوه ...

يود يرضع جروحي
روحي اليا تعب ضويه ونيع روجي
وهيله اعله العطش ينحر نرف روجي
ولمن بيها الدوار التم
نيع من روحها اينادم
يمزك ثيابها وينبت
خضار ودم)
وأیضا قال:

(اجت يحدي بضواها الريح
ومداور سفرها امانح النجمات
كل نجمه ابرجها اتطيح
وظل سر العذاب يصيح
يا فو ووووووووووووووووو
تتلاكه الزنود
وشوفي يا هو يطيح)
ومن الشطرة (ذي قار) جاء الشاعر "كامل سوارى" بقصيدته الشهيرة (مزاد علني)، وقد لبي
دعوة الحزب وهو في ظرف صحي حرج وقد تفاعل الجمهور مع قصيدته التي أصبحت هوية
له فيقول:

(من يشتري...
وسط المزاد العلني
اسمي وهويتي ودفتري
قررت اظل بلا وطن
رحال حظي وقدري
قررت اصيرن غجري
ومن يشتري...
قيثارة حبي وعواطف وتري
وشعري وجوازي وحته فيزة سفري
ومن يشتري وسط المزاد العلني
قررت اهاجر عن وطن
طبة مغولي وتتري
وقررت اهاجر عن وطن
ببة دخل نازي وبربري
ومن يشتري:
التاريخ كله ويشطب اسم الطبري
ومن يشتري...
اسمي وهويتي ودفتري
وبزمة قميصي الكودري
وجفن جدي الجايبه من الحج دري
لو حطو الشمس بيمني
وبيساري القمري
قررت اظل ابلا وطن
قررت اصيرن غجري)

ومسك الختام كان الشاعر "عمو ناصر" من البصرة، مع قابليته الاستحواذية على الجمهور
بأدائه الممسرح فألهب القاعة التي غصت بالحضور استحسانا وتصفيقا وإعادة، وأهدى الحزب
الشيوعي باقة من زهوره:

(حزب الشيوعي طعم .. لفة وبطل ببسي
كاعد أبنص القلب .. شتسوي بالكروسي)
وأهدى أيضا:
(حزب الشيوعي محب .. وتحبه كل أحزاب
ولو ردت أبسط مَثل .. مظفر النواب)
وأهدى أيضا:

(حزب الشيوعي شهم .. غيره وكرامة وشرف
ولو ردت أبسط مثل .. عريان سيد خلف)
ثم قرأ:

(نوبات أضمك دمع .. من تنشف دموعي
ونوبات أعلكك شمع .. من يطفن شموعي
وشديت حبك ضلع .. من علكوني الربع
.. وانكسرن ضلوعي

كالولي أحجي الصدك

كتلهم أحجي الصدك

بس يضون اشموعي

ولمن حجيت الصدك

كالولي حجيك جذب

كول انه من يا حزب

كتلهم شيوعي

كتلهم شيوعي)

ونزل "عمو ناصر" من المنصة مطوقا بتصفيق الحضور ولحين وصوله لمقعده في قاعة
الاحتفالية التي كانت أجمل من الجمال، وألذ من الشهد، وكانت لها نكهة النضال والوطن
والحزب وحميم أهلنا الطيبين.



